

البداية والنهاية

واﻟﻮ ﻭﺟﺪﺗﻪ ﻟﺨﺼﻤﺘﻪ ﻓﺴﻠﻮﺍ ﻣﺤﻤﺪﺍ ﺃﻛﻞ ﻣﺎ ﻧﻌﺒﺪ ﻣﻦ ﺩﻭﻥ ﺍﻟﻪ ﺣﺴﺐ ﺟﻪﻧﻢ ﻣﻊ ﻣﻦ ﻋﺒﺪﻩ ﻓﻨﺤﻦ ﻧﻌﺒﺪ ﺍﻟﻤﻼﺋﻜﺔ ﻭﺍﻟﻴﻬﻮﺩ ﺗﻌﺒﺪ ﻋﺰﻳﺮﺍ ﻭﺍﻟﻨﺼﺎﺭﻯ ﺗﻌﺒﺪ ﻋﻴﺴﻰ ﻓﻌﺠﺐ ﺍﻟﻮﻟﻴﺪ ﻭﻣﻦ ﻛﺎﻥ ﻣﻊﻪ ﻓﻲ ﺍﻟﻤﺠﻠﺲ ﻣﻦ ﻗﻮﻝ ﺍﺑﻦ ﺯﺑﻌﺮﻯ ﻭﺭﺁﻭﺍ ﺃﻧﻪ ﻗﺪ ﺍﺣﺘﺞ ﻭﺧﺎﺼﻢ ﻓﺬﻛﺮ ﺫﻟﻚ ﻟﺮﺳﻮﻝ ﺍﻟﻪ ﺃﻗﺎﻝ ﻛﻞ ﻣﻦ ﺃﺣﺐ ﺃﻥ ﻳﻌﺒﺪ ﻣﻦ ﺩﻭﻥ ﺍﻟﻪ ﻓﻬﻮ ﻣﻊ ﻣﻦ ﻋﺒﺪﻩ ﻓﻲ ﺍﻟﻨﺎﺭ ﺍﻧﻬﻢ ﺇﻧﻤﺎ ﻳﻌﺒﺪﻭﻥ ﺍﻟﺸﻴﺎﻃﻴﻦ ﻭﻣﻦ ﺃﻣﺮﺗﻬﻢ ﺑﻌﺒﺎﺩﺗﻪ ﻓﺎﻧﺰﻝ ﺍﻟﻪ ﺗﻌﺎﻟﻰ ﺇﻥ ﺍﻟﺬﻳﻦ ﺳﻴﻘﺖ ﻟﻬﻢ ﻣﻨﺎ ﺍﻟﺤﺴﻨﻰ ﺃﻭﻟﺌﻚ ﻋﻨﻬﺎ ﻣﺒﻌﺪﻭﻥ ﻻ ﻳﺴﻤﻌﻮﻥ ﺣﺴﻴﺴﻬﺎ ﻭﻫﻢ ﻓﻴﻤﺎ ﺍﺷﺘﻬﺖ ﺃﻧﻔﺴﻬﻢ ﺧﺎﻟﺪﻭﻥ ﺃﻯ ﻋﻴﺴﻰ ﻭﻋﺰﻳﺮ ﻭﻣﻦ ﻋﺒﺪ ﻣﻦ ﺍﻻﺣﺒﺎﺭ ﻭﺍﻟﺮﻫﺒﺎﻥ ﺍﻟﺬﻳﻦ ﻣﺘﻮﺍ ﻋﻠﻰ ﻃﺎﻋﺔ ﺍﻟﻪ ﺗﻌﺎﻟﻰ ﻭﻧﺰﻝ ﻓﻴﻤﺎ ﻳﺬﻛﺮﻭﻥ ﺃﻧﻬﻢ ﻳﻌﺒﺪﻭﻥ ﺍﻟﻤﻼﺋﻜﺔ ﻭﺃﻧﻬﺎ ﺑﻨﺎﺕ ﺍﻟﻪ ﻭﻗﺎﻟﻮﺍ ﺍﺗﺨﺪ ﺍﻟﺮﺣﻤﻦ ﻭﻟﺪﺍ ﺳﺒﺤﺎﻧﻪ ﺑﻞ ﻋﺒﺎﺩ ﻣﻜﺮﻣﻮﻥ ﻭﺍﻻﻳﺎﺕ ﺑﻌﺪﻫﺎ ﻭﻧﺰﻝ ﻓﻲ ﺇﻋﺠﺎﺏ ﺍﻟﻤﺸﺮﻛﻴﻦ ﺑﻘﻮﻝ ﺍﺑﻦ ﺯﺑﻌﺮﻯ ﻭﻟﻤﺎ ﺯﺑﺮ ﺍﺑﻦ ﻣﺮﻳﻢ ﻣﺘﻼ ﺇﺫﺍ ﻗﻮﻣﺖ ﻣﻨﻪ ﻳﺼﺪﻭﻥ ﻭﻗﺎﻟﻮﺍ ﺃﻟﻬﺘﻨﺎ ﺧﻴﺮ ﺃﻡ ﻫﻮ ﻣﺎ ﺯﺑﺮﻭﻩ ﻟﻚ ﺇﻻ ﺟﺪﻻ ﺑﻞ ﻫﻢ ﻗﻮﻡ ﺧﺼﻤﻮﻥ ﻭﻫﺬﺍ ﺍﻟﺠﺪﻝ ﺍﻟﺬﻯ ﺳﻠﻜﻮﻩ ﺑﺎﻃﻞ ﻭﻫﻢ ﻳﻌﻠﻤﻮﻥ ﺫﻟﻚ ﻟﺄﻧﻬﻢ ﻗﻮﻡ ﻋﺮﺏ ﻭﻣﻦ ﻟﻐﺘﻬﻢ ﺃﻥ ﻣﺎ ﻟﻤﺎ ﻻ ﻳﻌﻘﻞ ﻓﻘﻮﻟﻪ ﺇﻧﻜﻢ ﻭﻣﺎ ﺗﻌﺒﺪﻭﻥ ﻣﻦ ﺩﻭﻥ ﺍﻟﻪ ﺣﺴﺐ ﺟﻪﻧﻢ ﺃﻧﺘﻢ ﻟﻬﺎ ﻭﺍﺭﺩﻭﻥ ﺇﻧﻤﺎ ﺃﺭﻳﺪ ﺑﺬﻟﻚ ﻣﺎ ﻛﺎﻧﻮﺍ ﻳﻌﺒﺪﻭﻧﻪ ﻣﻦ ﺍﻻﺣﺠﺎﺭ ﺍﻟﺘﻲ ﻛﺎﻧﺖ ﺻﻮﺭ ﺃﺼﻨﺎﻡ ﻭﻻ ﻳﺘﻨﺎﻭﻝ ﺫﻟﻚ ﺍﻟﻤﻼﺋﻜﺔ ﺍﻟﺬﻳﻦ ﺯﻋﻤﻮﺍ ﺃﻧﻬﻢ ﻳﻌﺒﺪﻭﻧﻬﻢ ﻓﻲ ﻫﺬﻩ ﺍﻟﺼﻮﺭ ﻭﻻ ﺍﻟﻤﺴﻴﺢ ﻭﻻ ﻋﺰﻳﺮﺍ ﻭﻻ ﺃﺣﺪﺍ ﻣﻦ ﺍﻟﺼﺎﻟﺤﻴﻦ ﻟﺄﻥ ﺍﻟﻠﻔﺰ ﻻ ﻳﺘﻨﺎﻭﻟﻬﻢ ﻻ ﻟﻔﺰﺍ ﻭﻻ ﻣﻌﻨﻰ ﻓﻬﻢ ﻳﻌﻠﻤﻮﻥ ﺃﻥ ﻣﺎ ﺯﺑﺮﻭﻩ ﺑﻌﻴﺴﻰ ﺍﺑﻦ ﻣﺮﻳﻢ ﻣﻦ ﺍﻟﻤﺘﻞ ﺟﺪﻝ ﺑﺎﻃﻞ ﻛﻤﺎ ﻗﺎﻝ ﺍﻟﻪ ﺗﻌﺎﻟﻰ ﻣﺎ ﺯﺑﺮﻭﻩ ﻟﻚ ﺇﻻ ﺟﺪﻻ ﺑﻞ ﻫﻢ ﻗﻮﻡ ﺧﺼﻤﻮﻥ ﺗﻢ ﻗﺎﻝ ﺇﻥ ﻫﻮ ﺃﻯ ﻋﻴﺴﻰ ﺇﻻ ﻋﺒﺪ ﺃﻧﻌﻤﻨﺎ ﻋﻠﻴﻪ ﺃﻯ ﺑﻨﺒﻮﺗﻨﺎ ﻭﺟﻌﻠﻨﺎﻫ ﻣﺘﻼ ﻟﺒﻨﻰ ﺍﺳﺮﺍﺋﻴﻞ ﺃﻯ ﺩﻟﻴﻼ ﻋﻠﻰ ﺗﻤﺎﻡ ﻗﺪﺭﺗﻨﺎ ﻋﻠﻰ ﻣﺎ ﻧﺸﺎﺀ ﺣﻴﺚ ﺧﻠﻘﻨﺎﻫ ﻣﻦ ﺃﻧﺜﻰ ﺑﻼ ﺫﻛﺮ ﻭﻗﺪ ﺧﻠﻘﻨﺎ ﺣﻮﺍﺀ ﻣﻦ ﺫﻛﺮ ﺑﻼ ﺃﻧﺜﻰ ﻭﺧﻠﻘﻨﺎ ﺃﺩﻡ ﻻ ﻣﻦ ﻫﺬﺍ ﻭﻻ ﻣﻦ ﻫﺬﺍ ﻭﺧﻠﻘﻨﺎ ﺳﺎﺋﺮ ﺑﻨﻰ ﺃﺩﻡ ﻣﻦ ﺫﻛﺮ ﻭﺃﻧﺜﻰ ﻛﻤﺎ ﻗﺎﻝ ﻓﻲ ﺍﻻﻳﺔ ﺍﻻﺧﺮﻯ ﻭﻟﻨﺠﻌﻠﻪ ﺃﻳﺔ ﻟﻠﻨﺎﺱ ﺃﻯ ﺃﻣﺎﺭﺓ ﻭﺩﻟﻴﻼ ﻋﻠﻰ ﻗﺪﺭﺗﻨﺎ ﺍﻟﺒﺎﻫﺮﺓ ﻭﺭﺣﻤﺔ ﻣﻨﺎ ﻧﺮﺣﻢ ﺑﻬﺎ ﻣﻦ ﻧﺸﺎﺀ .

ﻭﺫﻛﺮ ﺍﺑﻦ ﺍﺳﺤﺎﻕ ﺍﻻﺧﻨﺲ ﺑﻦ ﺷﺮﻳﻖ ﻭﻧﺰﻭﻝ ﻗﻮﻟﻪ ﺗﻌﺎﻟﻰ ﻓﻴﻪ ﻭﻻ ﺗﻄﻊ ﻛﻞ ﺣﻼﻑ ﻣﻬﻴﻦ ﺍﻻﻳﺎﺕ ﻭﺫﻛﺮ ﺍﻟﻮﻟﻴﺪ ﺑﻦ ﺍﻟﻤﻐﻴﺮﺓ ﺣﻴﺚ ﻗﺎﻝ ﺃﻳﻨﺰﻝ ﻋﻠﻰ ﻣﺤﻤﺪ ﻭﺃﺗﺮﻙ ﻭﺃﻧﺎ ﻛﺒﻴﺮ ﻗﺮﻳﺶ ﻭﺳﻴﺪﻫﺎ ﻭﻳﺘﺮﻙ ﺃﺑﻮ ﻣﺴﻌﻮﺩ ﻋﻤﺮﻭ ﺑﻦ ﻋﻤﺮﻭ ﺍﻟﺘﻘﻔﻲ ﺳﻴﺪ ﺗﻘﻴﻒ ﻓﻨﺤﻦ ﻋﻈﻴﻤﺎ ﺍﻟﻘﺮﻳﺘﻴﻦ ﻭﻧﺰﻭﻝ ﻗﻮﻟﻪ ﻓﻴﻪ ﻭﻗﺎﻝ ﻟﻮﻻ ﻧﺰﻝ ﻫﺬﺍ ﺍﻟﻘﺮﺁﻥ ﻋﻠﻰ ﺭﺟﻞ ﻣﻦ ﺍﻟﻘﺮﻳﺘﻴﻦ ﻋﻈﻴﻢ ﻭﺍﻟﺘﻲ ﺑﻌﺪﻫﺎ ﻭﺫﻛﺮ ﺃﺑﻰ ﺑﻦ ﺧﻠﻒ ﺣﻴﻦ ﻗﺎﻝ ﻟﻌﻘﺒﺔ ﺑﻦ ﺃﺑﻰ ﻣﻌﻴﻂ ﺃﻟﻢ ﻳﺒﻠﻐﻨﻲ ﺃﻧﻚ ﺟﺎﻟﺴﺖ ﻣﺤﻤﺪﺍ ﻭﺳﻤﻌﺖ ﻣﻨﻪ ﻭﺟﻬﻲ ﻣﻦ ﻭﺟﻬﻚ ﺣﺮﺍﻡ ﺇﻻ ﺃﻥ ﺗﺘﻔﻞ ﻓﻲ ﻭﺟﻬﻪ ﻓﻔﻌﻞ ﺫﻟﻚ ﻋﺪﻭ ﺍﻟﻪ ﻋﻘﺒﺔ ﻟﻌﻨﻪ ﺍﻟﻪ ﻓﺎﻧﺰﻝ ﺍﻟﻪ ﻭﻳﻮﻡ ﻳﻌﻀ ﺍﻟﻈﺎﻟﻢ ﻋﻠﻰ ﻳﺪﻳﻪ ﻳﻘﻮﻝ ﻳﺎ ﻟﻴﺘﻨﻲ